

## «ملكة» الشعر الروسي وأوجاع السنوات السود

سمح لأننا أختامتوا بنشر قصائدها في المجلات الرسمية، وبقرائها في الإذاعة وفي النوادي الثقافية. غير أن هذا لم يدم طويلاً إذ سرعان ما ضربتها عصا الرقابة من جديد لترتد إلى وحدتها وصمتها. ولم تخرج من النفق المظلم إلا في أواخر حياتها حيث تمّ طبع أعمالها الشعرية، ومنحها اتحاد الكتاب الأوروبيين جائزة أدبية مرموقة. كما حصلت على الدكتوراه الفخرية من جامعة أكسفورد بعد أن زارها الشاعر الأمريكي الكبير روبرت فروست.

حسونة المصباحي  
كاتب تونسبي

في نهاية العام الحالي، صدر في باريس كتاب ضخم يحتوي على الحوارات التي أجرتها لبيدا تشوكوفسكايا خلال الحقبة الستالينية (نسبة إلى ستالين) مع أنا أختامتوا (1889 - 1966) التي كان محبوبها بلقبونها بـ«ملكة الشعر الروسي»، وبـ«روح السنوات الفضية»، أي السنوات التي سبقت الثورة البلشفية. وتشكل هذه الحوارات التي تحتوي على شهادات مؤثرة، وعلى مقاطع من قصائد كتبت في الصمت والعزلة، وثيقة هامة للغاية عن حياة شاعرة عاشت الرعب والجوع ومنعت أشعارها من قبل أجهزة الرقابة الشيوعية، ووصفت من قبل ستالين بـ«العاهرة المتفسخة».

وقد ولدت أنا أختامتوا، واسمها الحقيقي أنا أندريا فناجورينكو في الثالث من يونيو 1889 في منطقة البحر الأسود بالقرب من أوديسا. وفي عام 1910، تزوجت من نيكولا غوميلاف الذي أعدم خلال الثورة البلشفية، وسافرت إلى باريس لتمتد فيها سنة كاملة تعرفت خلالها على الرسام موديليانو الذي رسمها بتصنيفة شعر ملكات الليل. كما تمكنت أيضاً من أن تقرأ بالفرنسية التي كانت تتقنها أعمال كبار الشعراء الفرنسيين أمثال فرلين وبودلير ومالارمي وجيل لافورغ. وفي عام 1912، شرعت في نشر قصائدها في مختلف المجلات الأدبية.

عند اندلاع الثورة البلشفية عام 1917، فرّ العديد من الشعراء والكتاب والمفكرين الروس إلى الخارج، إلا أن أنا أختامتوا فضلت البقاء في بلادها لأن الهروب إلى المنفى «خيانة للغة» بحسب تعبيرها. وفي نفس الوقت انفصلت عن زوجها نيكولا غوميلاف للترجوع من مستشرق متخصص في الحضارة البابلية. غير أنها سرعان ما تركته. بعد انهيار النظام القيصري، بدأت متاعب أنا أختامتوا لتعيش سنوات سوداء عسيرة. فقد هاجم الشيوعيون قصائدها «الفردانية» و«الإنثوية». أما تروتسكي الذي كان يعيش نزاعاً عنيفاً مع رفيقه اللدود ستالين، فقد اعتبرها واحدة من تلك «القافلة النبيلة التي تحضر». ولم يمض وقت طويل على هذا الهجوم حتى شرعت دور النشر تسد أبوابها في وجه أنا أختامتوا. كما أن عشاقها وأحباء شعرها راحوا ينفذون من حولها خوفاً من العقاب. وخلال المؤتمر العام لاتحاد الكتاب الروس الذي انعقد في صيف عام 1934، قام بوخارين الذي كان أحد رموز النظام البلشفي، بالتهجم علناً على أنا أختامتوا باعتبارها «بذرة بورجوازية فاسدة». ومع بداية سنوات الإرهاب الستاليني، أودع ابنها الذي كان مستشرقاً مرموقاً، السجن. أما صديقتها الحميم عوسيب ماندالشتام فقد توفيت في سيبيريا بسبب الجوع والبرد. خلال الحرب العالمية الثانية،

## حفلات التوقيع أداة ترويج أم ماكينة زائفة لصناعة الجماهيرية

### أماكن الحفلات وأسماء الحضور تلعب دوراً في جذب عشاق الأدب



التوقيع يشعر القارئ أنه مساهم في العمل

الامر يعد سلعة لها مدخلات إنتاجية وسوق، وأي سلعة تحتاج إلى ترويج لائق يتناسب مع طبيعتها وقيمتها، وحفلات التوقيع إحدى وسائل التسويق الفعال، ولا تعيب الكاتب أو دار النشر.

وإذت المنافسة في إعداد وإخراج حفلات التوقيع بين الكتاب، خاصة الشباب منهم، إلى نشوء مهنة جديدة يحترفها في الغالب شباب، هي مهنة منظمي حفلات التوقيع.

هناك كتاب لهم شعبية  
وجماهير في كافة دول  
العالم، وهو أمر طبيعي،  
وهناك كتاب نخبة أكثر  
إبداعاً

ويعمل هؤلاء في مجالات مختلفة، مثل تسويق وبيع الكتب أو إخراج الحفلات أو خبراء التسويق على مواقع التواصل، وتتلخص مهمتهم في جذب أكبر عدد من الحضور إلى حفل التوقيع. وقالت دعاء سليط، خبيرة التسويق على وسائل التواصل الاجتماعي، لـ«العرب»، إن مقياس نجاح حفلة التوقيع، هو جذب قراء جدد من خارج نطاق معارف الكاتب أو دار النشر المصدرة للكتاب.

وإذا كان البعض يعتبر حفلات التوقيع وسيلة لقياس شعبية الكاتب، فهناك من يرون أن ثمة قدراً ما من الافتعال يُصاحب بعض حفلات التوقيع، لأنها لا تعكس بشكل حقيقي جماهيرية الكاتب، والجماهيرية نفسها لا تؤكد مستواه الأدبي بين أقرانه. وكشف أحد الناشئين المصريين، اعترز عن ذكر اسمه، لـ«العرب» أن جمهور حفلات التوقيع، في الغالب جمهور افتراضي، وقد لا يكون مهتماً بالثقافة، لأن بعض الكتاب يلجأون إلى دعوة الأقارب والأصدقاء والمعارف بعيداً عن استهداف الجمهور الحقيقي. كما يلجأ آخرون إلى توزيع أعمالهم الأدبية مجاناً للمشاركين في حفلات التوقيع، لإدعاء جماهيرية كبيرة لاستخدامها في الترويج لأعمالهم، ومثل هذه الحالات تشوه الفكرة بصورة ما، غير أنها لا تعني أن الظاهرة سلبية في عمومها.

كما يقوم البعض بالاستعانة بفنانين وموسيقيين لتقديم فقرات فنية في بداية الحفل كنوع من عناصر الجذب الإضافية للجمهور المستهدف.

سوق الكتب

مع التوسع الكبير لمواقع التواصل الاجتماعي خلال السنوات الأخيرة، لجأ المنظّمون عادة إلى الإعلان عن حفل التوقيع عليها قبل أسبوع على الأقل من الحدث، ودعوة الجمهور العام للحضور والحصول على توقيع الكاتب. ورأى مبدعون أن الاهتمام المتزايد بحفلات التوقيع يعكس التحسن الواضح في سوق الكتب على المستوى العربي، وتعد تلك الحفلات ضرورة لتوسيع نطاق القراء وزيادة مبيعات الكتب.

ويقول الروائي المصري حمدي أبو جليل، لـ«العرب»، إنه يتفق تماماً مع أي وسيلة ضرورية للترويج للكتاب تساهم في جذب جمهور جديد إلى ساحة القراءة. ويوضح أنه تصاحب حفلات التوقيع أخبار منشورة هنا وهناك عن الكتاب في الصحف أو على مواقع التواصل الاجتماعي، ما يضبط في صالح الثقافة العامة.

ويشير إلى أن حضور جماهير كبيرة لكاتب ما أمر محمود، بغض النظر عن مستوى ذلك الكاتب الأدبي، وأن جذب الجمهور لقراءة الإبداع بشكل عام خطوة أولية لدفعه إلى قراءة مختلف مستويات الأدب، والقارئ مع الوقت يُصبح قادراً على تذوق الأعمال الأدبية والتخبر بينها في ما بعد، وذلك أفضل كثيراً من ترك الساحة أمام الساعين للثقافة للوقوع فريسة لكاتب التطرف والتعصب الديني.

ويتابع أبو جليل قائلاً «هناك كتاب لهم شعبية وجماهير في كافة دول العالم، وهو أمر طبيعي، وهناك كتاب نخبة أكثر إبداعاً، ومن المنطقي أن يحظى الأدب الشعبي بحضور كثيف في حفلات التوقيع، لأن القراء أكثر هنا، ولا ينبغي الانزعاج من ذلك». وبالطبع لا يعكس حجم الحضور بالضرورة مستوى الكاتب الفني، لأن هناك أدباء انزعاليين بطبيعتهم، وهناك من يهتمون أصلاً بحفلات التوقيع. ويشدد الروائي أحمد القرملوي لـ«العرب»، على أن الكتاب في نهاية

باتت حفلات توقيع الكتب الجديدة محل منافسة ساخنة بين شريحة من الكتاب والأدباء، نظراً لما تلعبه من دور فعال في صناعة جماهيرية، ومساهمة قوية في زيادة مبيعات الكتاب. وتحرص الكثير من دور النشر على تنظيم حفلات التوقيع لكتابها بعد مرور شهر أو أكثر على صدور العمل، لتمنح أكبر عدد ممكن من القراء الفرصة لقراءته والاستعداد والتجهيز لمناقشته، لكن هذه الظاهرة هناك من يقابلها بالترحيب وآخرون يرون أنها مجرد ترويج فقط.

مصطفى عبيد  
كاتب مصري

لصاحب العمل يكشف أثره عمله على القارئ. وتوضح أن حفلات التوقيع تجعل القراء يشعرون بأنهم شركاء الكاتب في عمله الأدبي، إذ يشهدون معه فرحة ميلاد النص الجديد، ويتعرفون بشكل أكبر على أبطاله وشخصياته الذين تخيلهم ككثير حقيقيين. وتقول زينة محمود، طالبة بكلية الهندسة جامعة القاهرة، لـ«العرب» إن لديها توقعات إهداء من نحو 120 الروائيين والكاتب العرب. وتضيف أن تلك التوقعات تمثل ذكريات جميلة لعلاقات ممتدة تجعل من أصحابها كتاباً مفضلين لديها كقارئة، وحصولها على توقيع لكاتب ما، يدفعها بالضرورة لقراءة باقي إصداراته وتشعر أنها معنية بتتبع مراحل تطوره.

ويعي العديد من الكتاب أهمية التوقيع على كتبهم، فيتبارون في تنميق وصياغة عبارات مميزة، وإكليشييات جذابة، تُشعر الجمهور بالمودة، فيقوم البعض برسم وجوه إلى جانب التوقيع المُذيل في الغالب بكلمتي مع محبتي أو مودتي.

ويعتبر جمهور القراءة الكاتب أشبه بنجم فني، ما يدفع البعض منهم إلى الاهتمام بالتقاط الصور الفوتوغرافية معه، وتمثل الحفلات المذكورة فرصة نموذجية لذلك. ويلعب اختيار أماكن ومواعيد الحفلات دوراً مهماً في نجاحها، لذا تحرص دور النشر على اختيار أماكن معروفة وقريبة من وسط المدينة ليسهل الوصول إليها، وتُفضل في الغالب أيام العطلات الرسمية أو آخر الأسبوع كمواعيد للحفلات.

ويهتم بعض منظمي الحفلات باستضافة أسماء مشهورة لأدباء وكتاب وشخصيات عامة كضيوف شرف لحفل التوقيع، ما يساهم في جذب المزيد من الجمهور للمشاركة.

القاهرة - قبل بضعة أيام شهدت القاعة الرئيسية لمكتبة القاهرة الكبرى بحي الزمالك، وسط القاهرة، ازدحاماً شديداً من جمهور واسع لحضور حفل توقيع لرواية الكاتب المصري أشرف الشماوي الأحدث، «بيت القبطية»، وتنوع الحضور بين رجال وسيدات مجتمع في أواسط العمر، وشباب عشريني يتلمس خطواته الأولى في عالم الثقافة، قدموا من أماكن مختلفة للحصول على توقيع الكاتب كذكور يدعم محبتهم وإعجابهم به.

الاهتمام المتزايد بحفلات التوقيع يعكس تحسن سوق الكتب على المستوى العربي لكنه لا يعكس قيمتها الفنية

تجاوز دوافع بعض المشاركين في حفلات التوقيع فكرة مناقشة الكتاب أو طرح أسئلة أو إبداء رؤى نقدية للنص، ويتسابقون لجمع توقعات كبار ومشاهير الكتاب باعتبارها تذكارات يُدل على درجة ثقافتهم وقربهم من المبدعين.

سباق التوقعات

رُبا شحاتة، سيدة مجتمع مهتمة بالأدب والثقافة، تحرص على حضور معظم حفلات توقيع الكتاب والروائيين، تقول لـ«العرب» إنها تعتبر حفلات التوقيع بمثابة جسر تواصل مباشر مع الكاتب، وفرصة مناسبة لطرح تساؤلات حول تقنيات العمل الأدبي، أو تقديم رؤى انطباعية وليست نقدية



شاعرة لم ينجح أحد في قمعها